بالارض والمقاومة، على الرغم من بروزه على انه لا يتمتّع بوعي سياسي، حتى، على الاقل، كطالب جامعي. لذلك يُغرَّر به بشكل سريع وقدري من قبل خلية تطلق على نفسها اسم «خلية يافا» اراد من خلالها الروائي ان تكون خلية لـ «الموساد». وبذلك افرغت شخصية العبد، في الرواية، من بعد الرؤيا السياسية والمعرفية المتوسطة، حتى تحت عذر لم يكن مقنعاً («موت أبيه») بالنسبة الى الفلسطيني، من كثرة ما قاسى من اختطاف الموت لاناس هم أقرب المقرّبين اليه، أو تربطه بهم علاقات حميمة جمّة؛ والثاني حينما نرى، في الجانب الآخر، شخصية الولد سامح، الذي هصرته التجربة الثورية في الانتفاضة، والتي هي، أساساً، حصيلة إرث ثوري ونضالي امتد منذ عشرات السنين، لتصوغه ثائراً يتمتّع بحسّ سياسي؛ وانْ بدا ذلك، في النص، عفوياً، فطرياً، الّا انه يشكّل، في النهاية، حالة وعي سياسي يمكّنه من الاختيار والتقويم. وثمة تناقض، هنا، في طرح الخلفية السياسية بالنسبة الى الشخصيتين، ربما يكون أمراً واقعاً، الّا انه لا يجاري المنطق، بالنسبة الى القياس المعرفي. امّا بالنسبة الى الرواية، ككل، فانها تشكّل، على الصعيد السياسي، حصيلة هامّة تطرح في شذرات من النقاش، هنا أو هناك، المفاهيم، والقيم، والمعطيات السياسية المطروحة، فلسطينياً، من قبل مختلف الانتماءات الوطنية، ليتشكّل، في النهاية، وعي سياسي شمولي يضبط الارضية للنص الروائي بكل دوافعه، وتوجّهاته، وأهدافه، التي تتوافق، وبجرأة عقلانية، مع الطروحات الفلسطينية النبيلة التي تدفع الشعب الفلسطيني كي يصل الى انتزاع حرّيته، واستقلاله الوطني، بأقل عدد من الضحايا، ومن كلا الطرفين، اذا أمكن، لأن المعركة السياسية تصوغ زخمها ومجرياتها بهدف توفير، وتقليل، عدد الضحايا.

رواية وتد «زغاريد المقاثي» كشفت الأنسجة الداخلية لحياة الشعب بكل ما تنطوي عليه من احلام، ورؤى، وعاطفة، وأمل، وحب، وحسرة، في سياق السعي الدؤوب الى الحرية، والاستقلال الذي يبدو قريباً كما توحي به «زغاريد المقاثي».

«الطريق الى بيرزيت»

في مناخ الثورة، واجواء الانتفاضة، جاءت رواية ادمون شحادة «الطريق الى بيرزيت» لتشير الى العلاقة الجدلية التي احدثتها الانتفاضة بين الابداع الادبي وشروطه، من جهة، وبين الواقع المعاش ومعاناته، من جهة أخرى، حيث أطّرت صيغة لها ملامح جديدة على صعيد حدث المقاومة الفلسطينية اليومية للاحتلال.

بدأت الرواية، مكانياً، من الطريق المؤدي الى جامعة بيرزيت في الضفة الفلسطينية المحتلة، لتعكس صورة ما قبل الاحداث عبر حوار جنديين اسرائيليين. الاول دافع عن «الديمقراطية» الاسرائيلية المعلنة، وحق الغير في الحياة والعلم، في حين ارتعد الثاني خوفاً من حجارة الطلبة، وقرر، سلفاً، ان «العربي الجيّد هو العربي الميت». وثمّة الدكتور باسل، المحاضر في الجامعة، وعلاقة الحب التي تربطه بطالبته وفاء، التي تعمل سكرتيرة له؛ وهي علاقة بدأت عقب ان دخلت عليه مكتبه مستفسرة «عن بعض الامور العالقة من المحاضرة السابقة، وكيف استطاع ان يبقي على العلاقة في اطار العواطف المجردة... وخلالها يتذكّر، بالتداعي، مغامراته وتجاربه العاطفية أيام الدراسة».

وخلال عضويته في جماعة وطنية يجتمع بمسؤول حزبي اسرائيلي من اليمين المتطرّف، بلقاء أعدّ له صحافيان يساريان، بغية دفع عملية السلام الى أمام. ومن ثمّ انتقلت الصورة الى حوارات الطلبة وهم متجهون، كل صباح، الى الجامعة، وصدامهم مع الجنود ذات صبيحة، وسقوط شهيدين،